بسم الله الرحمن الرحيم

بين الانسانية وأصدقائها

تحوى الأساطير الهندية كثيراً من الحكم ، يبدو لنا أن حكماء هذا القطر قد أعربوا عن دقائق الفلسفة فى لغة سهلة و أسلوب جذاب ، و حاولوا نقل الحقائق الجافة إلى الحياة العامة ، نحن نستطيع أن نتلقى دروساً قيمة فى الفلسفة و الحياة بواسطة هذه الأساطير المتواضعة .

و من الأساطير و الحكايات التى حدثتنا بها فى الصغر الأمهات و عجائز البيت أسطورة امرأة شقية كان جسمها حافلا بالابرات السامة و تولت ضرتها اقتلاع هذه الأبرات فاقتلعتها إبرة إبرة و تظاهرت بالشفقة و الاخلاص و تركت إبرات العينين عمداً فبقيت المرأة تتململ من شدة الألم لا ينطبق لها جفن و لا تكتحل بنوم : و نحن بصدد هذا الجزء من الحكاية فحسب .

بين الإنسانية وأصدقائها - تأليف : أبو الحسن الندوي
مكتبة الإسلام ، لكناؤ ، الهند

www.abulhasanalinadwi.org

إذا فكرت فى الانسانية و أصدقائها و درست أحوالها لوجدت قصتها تشبه قصة المرأة البائسة تمام الشبه قد تمزق جسمها بالابرات السامة التى دخلت فى جميع هيكلها فتمتد أيدى الغوث و الرحمة إليها لتقتلعها ، و لكنها تغفل العينين اللتين لا يقر قرار الرجل إلا بسلامتهما فلا يتم خلاصها و لا يهدأ بالها . فتغدو و تروح جريحة الهيكل كليمة الروح مضطربة البال . ثم تستأنف الجهود من غد و تنقطع من غير أن تكمل مهمتها و تبلغ غايتها .

الانسانية تمثل جسم البشرى فى اعضائه و أجزائه فهى جامعة للنواحى الحيوية بأسرها ، و انها تنتظم الجسم و البطن و الرأس و القلب و الروح و النسمة ، و تحل بهذه النواحى انواع من البلاء و الشقاء ، و هى إبرات جسمها التى تشقى بها و تتجرع على أيديها مرارة الحرمان و الألم .

الفاقة و البؤس و فقدان المواد الغذائية الصالحة هى إبرات البطن و المعدة التى تشقى بها الانسانية و تتعذب ،

و من الشقاء للعالم البشرى ، و من المخجلات المنديات أن لا تجد أغلبية البشر الساحقة ما تسد به فاقتها و تشبع به بطنها لسوء تصرف حفنة من البشر فى توزيع المواد الغذائية او لعسف حكومة جائرة رغم سخاء القدرة الالهية و ثروة الحقول الزراعية و أن لا تجد البشرية حاجتها من الطعام و الغذاء بعد أن تفيض الحقول زرعاً و تدر الأرض لبناً و عسلا .

الانسان جسد مع الروح . و الجسد يشعر بالحرارة و البرودة ، فهو دائماً فى حاجة إلى الكسوة و اللباس و قد انزل الله لباساً يوارى سوأت الناس و ريشاً و ألهم الانسان كيف يزرع القطن ، و كيف ينسج الثوب ، و اشتغلت الأيدى العاملة فى الحقول و المصانع ، فكانت كميات فائضة من القطن و النسائج ، فمن الجور الفاحش و الظلم المبين أن يلجئ إسراف بعض الرجال فى الملابس أو احتفاظهم بها فى صناديق و مستودعات كثيراً من الناس إلى العرى ، أو يكسو

www.abulhasanalinadwi.org

الأغنيا ء جدرانهم ، فلا تجد الفقراء من اللباس ما يستر جسمهم و يقيهم البرد و الحر .

ان المرء يحمل فى جنبه قلباً نابضاً له رغبات و عواطف طبيعية لا ضرر فيها و لا اعتداء فلا يجوز أن يقف الانسان سداً فى سبيلها ، و قد وهب عقلا و ذكاءاً ، فلا يجوز لأحد أن يمنعه عن العلم ويحول بينه و بين التفكير ؛ فاذا فعل ذلك فرد أو حكومة كان الانصاف للانسان المرهق و تحرير فكره خدمة بارة للانسانية ، و عملا يستحق الشكر و الثناء .

الثقافة لا تزدهر ، و المدنية لا ترتقى و قوى الرجل الروحية و المادية لا تنمو أبداً . إذا كانت فى البلاد سلطة مستبدة و حكومة غاشمة ، فترى أن الحكومات الاجنبية و الدول المستبدة تستولى على وسائل الحياة و تتولى توزيعها فطوراً تستأثر بها و تارة تقسمها قسمة ضيزى ، و أخرى تحول بين الأمة و بين منتجاتها و ثمرات كدحها و خزائن أرضها ،

فتعيش فى ديارها عيش الغرباء أو الصعاليك الطرداء فلا تلبث ان تخمد عواطفها و تجمد قرائحها و تضيع مواهبها فتكون أمة خامدة ضائعة ، فلا شك ان الاستعمار و الاستبداد عدو لدود للانسانية و ظلم عظيم للامة و ان جلائه من بلاد نعمة وسعادة تستحق الامة عليها كل تهنئة .

إذن فالجوع و العرى و الأمية و الاستبداد هى الابرات التى لا تفتأ تجرح الجسد البشرى و تؤلمه و من الواجب إزالة هذه الآفات و تخليص الأمة منها .

و لكن هل هذه الكرب و الآلام هى جل آفات البشرية و هى إبرات جسمها فحسب ؟ و اذا قلعت هذه الابرات اطمئنت القلوب و نعمت الأبدان و قرت العيون و صفاالعيش و طاب النوم و زالت الهموم و الأكدار و رجع كل شئ الى نصابه ؟

لقد كان الخطب يسيراً جدا لو كان ذلك ، و لكن

www.abulhasanalinadwi.org

الأمر مع الأسف ليس كذلك ، والواقع لا يؤيده .

ان القوت و اللباس و العلم و الحرية ليست كل شئ فى الحياة و ليست دواء كل داء ، إن فى جسم الانسانية إبرات سامة غير الابرات المذكورة و هى تجرح قلبه و تذيب حشاشته . خذ مجتمعا قد وصل الى كل مطلوب و قضى كل حاجة فى نفسه فنال الحرية و الاستقلال و جمع بين العلم و الاموال و اجتمع له كل ما يمكن من اسباب السعادة المادية و الهناء هل تراه هادئاً مطمئنا لا يشكو و لا يئن ؟

الأمر ليس كذلك كما تعرف جيدا ، بل ربما يكون هذا المجتمع السعيد اشد قلقا و اضطرابا و اكثر شكوى و عتاباً من غيره ، فما السر فى هذا ؟

سر ذلك ان الانسان قد يظهر فى بطنه الطبعى بطن كاذب وهو بطن الجشع و الشح الذى لا يزال صائحاً مثل جهنم « هل من مزيد ؟ » إنه لا يعشق المال لأنه قنطرة الى حاجاته او شهواته — على الأكثر — بل قد يكون

غرامه له كغاية و نهاية هنالك لا يطفئ غلته أعظم مقدار من المال و أعظم مجموع من الدرا هم و الدينار بل يركب رأسه فى شدة غرامه و ولوعه بالمال و يرتكب كل محظور و منكر لأنه قد فقد الحاسة الخلقية و حرم الضمير و العقل و جن بالمال جنوناً ، و أحقر مظاهر هذه النفسية و الطبيعة الغريبة السوق السوداء و الارتشاء الرخيص و ابتزاز الاموال من كل وسيلة و طريق .

إذا درسنا تاريخ العالم الخلقى درساً عميقا و فحصنا فى اسباب الفوضى الاجتماعية و الانحلال الخلقى فحصا دقيقاً و فكرنا فى رؤس المسائل و المشاكل التى تواجه الحياة القومية والاجتماعية اليوم وجدنا أنها لا ترجع الى الضرورات و الحاجات الطبعية فى غالب الاحوال بل إلى الرغبات الباطلة و الحاجات الكاذبة و الشهوات المصطنعة فى الغالب و هذه الشهوات التى تغرى صاحبها بالمحظورات و الجنايات و تتولد منها أزمات طريفة و مشاكل معقدة فى الحياة المدنية و فى كل نظام حكومى

www.abulhasanalinadwi.org

و تحث على الاعتداءات و التدليسات و الخيانات و العسف و الارتشاء و المقامرة و الاكتناز والاحتكار و الخداع و تتورط لاجلها اعظم الدول و الامم فى الفوضوية و اللادستورية ،

لو بحثت فى الأزمات و المشاكل لاقتنعت بأن تعسر مطالب أغلبية ساحقة وكثرة الجياع العراة فى بلاد ليست هى علة الاضطراب و اختلال الحياة الاجتماعية . إن هؤلاء الجياع و العراة لم يضيقوا على الناس و لم ينغصوا عيش أحد فى القطر اولئك هم الطاعمون الكاسون الذين لا تشبع انفسهم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة و لا تنقطع رغباتهم هم الذين ملاؤا الدنيا فساداً و اضطراباً ، إن قائمة الحوائج الصادقة ليست بطويلة جداً كما يتوهم بعض الناس و كما يغالط أكثرهم و لكن قائمة الحوائج الكاذبة لا حد لها و لا نهاية و هى تستمر فى الازدياد و التضخم على مر الايام و الليالى وقد تتضخم حتى لا تكفى لرجل واحد ثروة هائلة . ثروة حارة بل ثروة مدينة بأسرها بل و زيادة .

لماذا هذا الغلاء الفاحش و اختفاء الأشياء و التضخم النقدى؟ ألأن اغلبية البلاد جائعة عارية؟ لا ! بل لأن شهوة المادة قد طغت و تخطت كل حد ، و بلغ غرام الثراء حد الوله و الجنون ، وانمحت القناعة من الحياة ، وتسرب الصلف و الرياء وحب الجاه و الزينة فى جسم المدنية فأحال الحياة الى الشقاء و صير الدنيا داراً للعذاب و البلاء فنواجه فى كل منعطف و منعرج ارتشاءاً مسرفاً و سوقاً سوداء و أرباحاً جائرة .

لكن هل ترتكب هذه المحظورات لأن الجوع أو العرى قد جاوز حده؟ لا ! إنها أعمال طبقة فضلت أقواتها و ملابسها عن حاجاتها ، و اجتمع عندها من الكماليات و فضول الحياة و أدوات الزينة و الفخار شيء كثير . إنك لا تجد فى هذه السوق السوداء فقيراً لا يملك قوت يومه و لباس جسمه ألا إنها لافاعيل اصحاب اليسار و الاموال الذين قد حيزت لهم الدنيا بأطرافها و حذافيرها ، ثم لا رادع لهم عن الخيانة و اختلاس أموال الناس .

www.abulhasanalinadwi.org

إن حاجات الانسان الطبعية الصادقة خطبها يسير وإنه لسهل أن يجد كل إنسان فى بلاد ما يشبعه و يكسوه وكل ما يحتاج إليه فى حياته ، و لكن هل تستطيع دولة من الدول الكبيرة أو شريعة من الشرائع العادلة أن ترضى حفنة من السكان فى حاجاتهم الكاذبة ورغباتهم الباطلة ؟ وهل تقدر أن تشبع بطناً واحداً يشكو الجوع الكاذب و الذى لا يشبع و إن أكل رزق الناس اجمعين !

فاذا كانت المسألة مسئلة الرغبات المختلقة لا الرغبات الصحيحة ، وإذا كانت العلة الاشتهاء الكاذب لا الاشتهاء الصادق فهل تقدر فلسفة إقتصادية أو نظام معاشى قد تكفل الطعام واللباس فقط و لا يتعرض للضمير الانسانى ولا يغير نفسية المجتمع و طبيعته والذى يشعل الحس المادى و لا يعدله ، أن يحمل مجتمعاً واحداً على الرضاء و القناعة و هدوء البال ؟ و هل تستطيع كذلك أن يطلق سراح الحياة من الأزمات الراهنة بعد أن أخذت بالخناق و أناخت على المدنية بكلا كلها .

إن الارتشاء و السوق السوداء و الغلو فى الارباح و الجنايات ليست إلا نتيجة نفسية تدين بعبادة المال و التفانى فى سبيله ، ولن يقف هذا الفساد عند حد إذا لم تتغير هذه النفسية ، بل إذا سد باب فى وجه فساد تتفتح له عشرة أبواب على مصاريعها ، لان الذهن البشرى له نوافذ و أبواب كثيرة ، كلما سد منه منخر جاش منخر .

إن علة المدنية الحاضرة و داءها العضال أنها دست سموم الأثرة و الشح و عبادة النفس فى شرايين المجتمع و عروقه . فاصبح ضميره لا يؤمن إلا بالفائدة الشخصية و النفع العاجل فيرتكب أكبر رجل فى هذا المجتمع أشنع جريمة ، فاذا ائتمن خان و إذا عاهد غدر وإذا حكم جار ، وإذا كان وزيراً آثر ذوى قرابته و أفاد نفسه و عشيرته و أصدقائه و أضر بأمته و حكومته ، و إذا كان موظفاً ماطل و تساهل و أبطأ فى العمل حتى يرضخ له شىء من الدريهمات فينشط و يخف للعمل . و إذا كان ممثلا فى مجلس أو عضواً فى هيئة لم يمثل إلا شخصه

www.abulhasanalinadwi.org

و مصالحه و لم يفكر إلا فى فائدته فيوقع لأجله بلاده و شعبه فى خسارة فادحة ، و إذا كان تاجراً أقام السوق السوداء على قدم وساق ، و ارتكب لزيادة ثروته و تضخيم ماله كل ما تأباه الفضيلة و المروءة ويمنعه القانون ، فيجوع لأجله ألوف من الرجال و لا يبالى ، و قد يرابى الناس فيلقى على مئات من الفقراء أثقالا من الديون الفادحة ، فيحتاجون إلى مليم واحد و قرص واحد و لا يجدون إليه سبيلا .

و غلب شيطان الأثرة على الدول و الأحزاب بعد أن كان مستولياً على الأفراد و الرجال . فالأحزاب السياسية ممعنة فى الأثرة و العصبية الحزبية . أما الجمهوريات الأوربية و الامريكية فقد جرت منها الأثرة مجرى الروح ، فتدوس الدويلات الصغيرة بقدمها و تمتهن حريتها و كرامتها وتحرمها متعة الحياة و تجعلها لها مستعمرات و أسواقاً لبضائعها و صنائعها ، فحولت هذه الأثرة العالم كله إلى متجر أو كور حداد ، لا ترى فيه إلا تعاطياً فى الدرهم و الدينار أو سحائب من النار

و الشرار ، و الأرض كلها إلى ساحة حرب واسعة و قد استهان أصحابها فى سبيل منافعهم بالعهود و الذمم ، و استحلوا أشنع جريمة و أكبر جناية ، إذا اقتضت ذلك ظروف و أحوال ، فيقتل ألوف من البشر بأمرها ، و تسيطر دولة على دولة أخرى ضعيفة بأسماء مختلفة و علل واهية ، و تباع أمة لأمة أخرى بثمن بخس دراهم معدودة كالضأن و الغنم ، و تنقل من يد إلى يد كالرقيق و الجماد ، و تقطع بلاد موحدة — يجمع بينها الدين واللغة و الحضارة و القومية — قطعاً كالثوب ، هذه الأثرة القومية الأوربية التى هاجت العرب ضد الأتراك — و كلهم مسلمون ، فلما أتموا دورهم فى الحرب الكبرى و كتبوا سطور نصر الحلفا بدمائهم أشاحوا عنهم و تناسوهم و اقتسموا بلادهم كالمال السائب أو تراث ميت ، حتى إذا أرهقتهم الأحوال و اضطروا إلى منح الاستقلال أقاموا فى سوريا الصغيرة أربع دويلات مستقلة ثم زينوا لليهود « الوطن القومى » و ألهموهم تأسيس دولة مستقلة و قدموا لهم

www.abulhasanalinadwi.org

كل مساعدة ، حتى إذا أصبح وطن اليهود أمراً واقعاً و قامت دولة إسرائيل تصادمت مصالحهم و اهواءهم و تضاربت الأثرة بالأثرة ، وما مسألة فلسطين اليوم ، و ما تعقدها و التواؤها إلا نتيجة أثرة بريطانيا و امريكا و روسيا القومية و نتيجة تنافسها فى استغلال الشعوب و منابع ثروتها والسيطرة على الشرق الأدنى؛ كذلك حدث فى الهند ، فقد استغلتها بريطانيا و حلبت ضرعها قرناً ، فلما أخذت بالجد و ألجأتها الأحوال الدولية إلى أن تمنح الهند الاستقلال عاملت هذه البلاد التى عاشت عليها دهراً شر معاملة ، فأشعلتها ناراً على أهلها و لم تغادرها حتى جعلتها مذبحاً يقتتل فيه بعضهم بعضاً ، و لم يكن ما صدر من أهل الهند سنة ١٩٤٧ عام الاستقلال إلا بإلهام الأجنبى و تدبيره الخفى و نتيجة الأثرة و التربية الخلقية التى نشأ عليها أبناء هذه البلاد قرناً كاملا فى ظل الانجليز التى أخذتهم بها السياسة الانجليزية و الفلسفة الأوربية و النزعة الجنسية التى جاء بها الأوربيون .

ثم تلك الأثرة الجاهلية قد بعثت فى العالم كله و فى نواحى

البلاد كلها طبيعة المطالبة بالحقوق و التهاون بالواجبات ، فقام كل واحد فى المدينة يطلب ماله على غيره و لا يؤدى ما عليه لغيره ، و نشأ الناس و مردوا على التطفيف ، إذا كتالوا على الناس يستوفون و إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، فأحدثت هذه العقلية الغربية فى جميع الأرض نزاعاً بين الأفراد وعراكا بين الأحزاب و جدالا بين الطبقات و صراعاً بين الجماهير و الحكومات ، و ظهرت ثورة عنيفة فى العمال و التجار و الفلاحين و الموظفين ضد الحكومات ، و عمت الاضرابات و التهديدات والاضطرابات فى المدن ، وكل يبالغ فى حقه ويحق فى المسألة و يتغافل عن واجبه ويخون فى وظيفته ، حتى صارت الحياة سلسلة من مطالبات و مصارعات ، و أصبحت الحياة حبلا ممدوداً يتجاذبه الفريقان من طرفيه .

مهما بالغنا فى ذم هذه الأثرة والتذمر منها و توجيه اللوم إلى هذه المدنية و قادتها ، فان سبب هذه الأثرة الجارفة و المدنية الشقية بأهلها واضح جلى ، فاذا كان الاعتقاد السائد أن

www.abulhasanalinadwi.org

لا حياة بعد هذه الحياة الفانيـة ولا نعيم بعد هـذا النعيم الزائـل و العهد الراحل ، و إذا كان أدبنا و فلسفتنا و بيئتنا كلها لا تحدثنا إلا عن المادة وحدها ، وتخضع لاصحابها خضوع الذليل المستكين و تتغنى بمجدهم و تحث على اقتفا أثرهم و و تقليدهم فى الحياة ، و تنكر كل حقيقـة دينية و خلقية ، و إذا ماتت فكرة الحياة بعـد الممات و إذا تركت القيم الخلقيـة و الحقائق الفاضلة ميدانهـا للقيم المادية الجسديـة ، و إذا تضخم الجسم و البطن عـلى حساب القلب و الضمير حتى وسعا الحياة كلها و حجبا الحقائق الخلقيه و المعانى الروحيـة ، فكيف لا يصير الرجل فى هذا المحيط مادياً محضـاً وكيف يؤخر ربح حياته الحاضرة و ثمراتها للغد الموهوم ؟ و كيف يستبقى و يدخر لذته و هناءه للاخرة التى لا يـؤمن بها ؟ إنه إذا لم يـؤمن بالعزيز الجبار العليم الخبير الديان المهيمن الرقيب الذى هـو مالك يوم الدين و الذى يعلم خائنة الاعين و ما تخفى الصدور ، فكيف يتردد فى استخدام الوسائل التى تهيء له عيشاً رغيداً

و جاهاً عريضاً و مالا ممدداً .

و لما حصرت الفلسفة السياسية المادية حياة الانسان فى القومية و الوطنيـة و استخفت بكل من يعطف عـلى بنى آدم عامة و يواسيهم و كل من يـؤمن بالحياة الآخرة الخالدة و كل من يحب الانسانية و لا يتقيد بوطن أو جنس ، أصبح الانسان — إذا ارتفع عن الاثرة الشخصيـة و المنافع الفـرديـه — لا يفكر الا فى مصالح وطنه و منافع شعبه ، و قد تصل به هذه الوطنية و القومية إلى الاحتلال و الاستعمار و القسـوة و الهمجية ، فيرى من واجبه الوطنى و القومى المقدس و من وفائه لامته و تفانيه فى سبيلها أن يؤسس دولة أمة على أنقاض دولة أمة أخرى و على أشلائهـا ، و هذه هى الوطنية التى حـدت بأوربا المتمدنة إلى استعمال كل قسوة و وحشية فى توسيع ممالكاتها و إخضاع الامم و الشعوب لدولها و سياستها حتى انتهى بها ذلك إلى استعمال المدمرات والغازات السامـة و إلقاء القنابـل الذريـة فى الاخير و إختراع

www.abulhasanalinadwi.org

(Hydrogen Bomb) و أشد منها أيضاً .

هذه الأثرة بمعناها الواسع هى آفة المدنية الحاضرة وجائحة زرعها ، فما دامت هذه الأثرة روح الاجتماع والسياسة وأساس المدنية والأخلاق ، فلا تفيد التنظيمات والاصلاحات والمشاريع الاقتصادية والعمرانية الجديدة ، ولاتغنى شيئاً ، وإذا كانت الأثرة متغلغلة فى أحشاء لمجتمع جارية مجرى الروح وهى التى تملى على الناس سياستهم وسلوكهم ، وإذا كان الأفراد فى أمة يتنافسون فى الشهوات و يتهافتون على اللذات ويتطاولون فى القصور والناطحات للسحاب ويتسابقون فى اقتناء افخر السيارات و يتسابقون فى أسباب الترف و الرخاء و مظاهر العظمة والثراء ، و إذا كانت قائمة الحاجات المختلقة و الرغبات المصطنعة تتضخم كل يوم ، لم يفد تلك الأمة غناها ووسائلها و تنظيمها الاقتصادى ، ولم تكفها مواردها و منابع ثروتها ، مهما كانت و اسعة ضخمة ، و لايفيدها أن تمطر السماء ذهباً و تلفظ الأرض خزائنها — من مناجم

الذهب و منابع البترول — فان كل ذالك لايفى بحاجاتها المختلقة المتجددة ولا يغنى فقراءها ولايشبع جياعها ولايكسو عراتها ، فترى فيها على ثروتها الهائلة و أموالها الطائلة فوجاً من الفقراء لا يجدون من الطعام ما يقيم صلبهم و من اللباس ما يكسو عورتهم ، أهذا الجوع القاتل و العرى الفاضح الذى ترى مناظره المخجلاة على الشوارع العامرة بالقصور المزدحمة بالسيارات لفقر البلاد و ضيق موارد ها و قلة وسائلها ؟ إذاً فمن أين هذه الناطحات للسحاب من القصور و المباريات للريح من السيارات ؟ و لماذا هذه الجولات إلى عواصم أوربا و أمريكا ؟ لا و الله ليس ذلك إلا لهذه الأثرة — قاتلها الله — التى حالت بين الفقراء و بين حظهم من العيش و حقهم من الحياة و التى ابتلعت موارد البلاد و أموالها فلم تترك للفقراء و لا للبلاد شيئا .

لقد أصبح المجتمع الانسانى اليوم جسماً متورماً يستسمنه الجاهل ، و ما هو بسمين ، إنما هو ورم غير طبعى ، فقد

www.abulhasanalinadwi.org

بلغ شأواً بعيداً فى الزخارف والكماليات و ضخامة الميزانيات ، و قلت الأمية و شاع العلم فى كثير من الأقطار ، و تساوى الناس فى المعيشة و أسبابها فى بعض الأقطار أيضاً — كما يقولون — و لكن الواقع أن هذه الدوحة التى تراها قائمة — دوحة المدنية و المجتمع الأنسانى — قد أصابتها دودة أكلت كبدها ونخرتها ، فهى متآكلة جوفاء ، و هذه الدودة الخبيثة هى الأثرة التى تزين للانسان الظلم و تحمله على الاعتداء ، فاذا بقيت هذه الدودة تأكل كبد المجتمع و تنخر جسمه حبطت الجهود الاصلاحية ، و ضاعت المشروعات الاقتصادية ، و ما دامت هذه الدودة تفعل فعلها فلا تنفع الأمة « الاشتراكية » و « الشيوعية » و لا تؤثر فى الحياة تأثيراً كبيراً ، لأن أمة نشأت على الأثرة و حب المال المفرط و حب الحياة الزائد ، لا تمتنع من الظلم و الاعتداء لأجل تنظيمات اقتصادية و عقوبات مدنية ، فان هنا ميادين غير ميدان الاقتصاد يستطيع المرء فيها أن يظلم أخاه و يغتصب حقه ، و إذا لم يستطيع

ذلك فانه يقدر أن يؤذيه و يعاكسه على الأقل ؛ فلا طريق إلى العدل و السلام و الهناء الكامل إلا أن تقتلع جرثومة الأثرة و الشح و الأعتداء من قلوب الناس و عقولهم ، و ذلك لا يقدر عليه إلا الدين المسيطر على الروح و القلب ، الدين الذى يحث على الاقتصاد فى المعيشة و الزهد فى الدنيا ، و يمنع الانسان من الاسترسال فى الآمال و الأمانى و الانهماك فى اللذات و الشهوات و الاسراف فى الأكل والشرب ، و يحض على الايثار على النفس مع الخصاصة و إنفاق العفو من المال ، و يحض على طعام المسكين ، و الحدب على اليتيم ، و ينعى على الذين يكنزون الذهب و الفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، و يأكلون التراث أكلا لما ، و يحبون المال حباً جما ؛ ذلك هو الدين الكامل العادل الذى ينقذ الانسانية من كل بلاء ، و يقيم عوجها ، و يرتق فتقها ، و يأسو جراحها .

إن الشعوب أو البلاد التى استقلت فى آسيا فى الزمن الأخير ؛

www.abulhasanalinadwi.org

لا تزال معرضة عن حقيقة ناصعة ، و هي أن رفاهة البلاد و سعادة الشعب ليست من كثرة الوسائل و الآلات و اكتشاف موارد المال و منابع الثروة و ازدهار الصناعة و الزراعة و كثرة المصانع و تقليد أوربا و أمريكا فى تنظيماتها و ان كان لا بد من ذلك ، و لكن الرفاهة الحقيقية فى صحة المقاصد و الغايات و حسن استعمال الوسائل و الآلات و فى اعتدال الحياة و قلة الحاجات و حب العدل و المواسات . و لن يحصل هذا من طريق الآلات و الماكينات و من طريق التنظيمات الاقتصادية و النظم السياسية ، و لكن من طريق التربية الدينية و بتأثير الدين الصحيح ، و التعليم الصحيح . و لئن كانت الوسائل و الآلات و التنظيمات ضامنة برفاهة البلاد و سعادة الأمة و هدوء بالها لكانت أوربا و أمريكا و روسيا أرفه بلاد الله ، و أطيبها عيشاً ، و أقلها كدراً ، و أنعمها بالا ، و أرضاها بالحياة ، و أبعدها من القلق و الاضطراب ، و الشكوى و العتاب ، و لكانت جنة فى الأرض لاخوف فيها و لاحزن ،

و لكن الأمر بالعكس ؛ فشا كل هذه البلاد و أزماتها وصراع الأحزاب و النزعات فيها ، و تذمر الناس من حياتهم وعدم رضاهم عن مدنيتهم ، و بحثهم عن هدوء البال و سكينة القلب حتى فى الشرق وأديانه أمر معلوم .

إنا لاننكر الفضل للايدى التى تحاول إراحة البشرية المعذبة و إسعافها بازالة تلك الابرات عن جسدها ؛ و لكن لا سبيل إلى الطمأنينة الدائمة و السكينة التامة إلا بقلع إبرات العيون ، إن الحصول على الحرية و الاستقلال عمل جليل وهدف سام جداً ، و الجهاد فى سبيل مكافحة الفقر و الجوع و العرى و الأمية والجهل ، و إلغاء المظالم والاعتداءات الاقتصادية والاجتماعية ، والحصول على وسائل الحياة حسنات لاتنسى ، و إياد بيضاء لا تنكر ، و لكن الانسانية أوسع من هذا ، و إن الانسان أكثر من المعدة و البطن والجسد و العقل ، إن فى جسده مضغة لو صلحت صلح الجسد كله و لو فسدت فسد الجسد كله ، ألا و هى القلب ، فالمهم الاهم هو صلاحه

www.abulhasanalinadwi.org

هدوؤه و اعتداله و حياته ، فهل فكر المفكرون فى هـذا ؟
و هل وجدوا إليه سبيلا ؟

قـد تسابقت أيدى الانسانية الرفيقة لقلع إبرات الجسد ،
و قد عنيت بابرات البطن و المعدة فاقتلعتها و أراحت الانسانية
منها ، و لكنها ما فطنت لابرات العيون التى هى اصـل البلا
وبذرة الشقاء ، و الانسانية تئن انين الثكلى و تهتف بابنائها و
انصارها و تنادى : إلى يا أبنائى البررة ، اسعفونى و خلصونى
من العـذاب الذى أتجرعه و لا أكاد اسيغه ، و يأتينى الموت
من كل مكان ، و ما أنا بميت ، و أريحونى من وجع الفؤا
و ألم العين الذى شرد نومى و اقلق بالى ، و امسحو ما بى من
علة حتى أعيش قرير العين ناعم البال مطمئناً .

فهـل من مجيب؟ !.

ضم هذا المقال إلى كتاب المؤلف :
«حديث مع الغرب»

www.abulhasanalinadwi.org